مظاهرات ديسمبر 1960م ودور المرأة والطفل فيها من خلال الصحافة الاستعمارية المكتوبة

أ.زيدين قاسيمي جامعة البويرة

الملخص:

يتناول هذا المقال موضوع مظاهرات ديسمبر 1960 م بالجزائر و كيف تناولها الإعلام الفرنسي المكتوب من خلال بعض النماذج من الصحف.ويقف المقال على مكانة و دور الطفل والمرأة في الأحداث حسب ما دونه المراسلون.

وتجدر الاشارة إلى أن المظاهرات المشار إليها حضيت بتغطية واسعة من طرف وسائل الإعلام التي رافقت زيارة ديغول إلى الجزائر من 09 إلى 12 ديسمبر 1960. وقد كان لخطاب ديغول انعكاسات على موقف الأوربيين من رؤيته لمستقبل الجزائر فحاولوا التصدي لذلك،كما كان للجزائريين رأيا آخر تجلى في تلك المظاهرات العارمة التي كانت بمثابة التعبير عن موقفهم و رأيهم حول مستقبلهم .

وقد اعتمد المقال تحليلا ونقدا على ما دونه الفرنسيون حول هذا الموضوع الذي تناول ظروف المظاهرات و سيرها و انعكاساتها .

Résumé :

Les manifestations du 11 Décembre 1960 et le rôle de la femme et de l'enfant vus par la Presse française

Cet article se veut une contribution sur les évènements du 11 Décembre 1960 en Algérie et la place que la femme et l'enfant ont occupé sur la scène nationale durant le déroulement des manifestations qui ont entachées la visite de De Gaulle pour l'Algérie depuis le 09 du même mois.

Venu pour développer son projet de « l'Algérie algérienne » lancé par son discours du 04 Novembre, De Gaulle ne pensait pas à se voir affronter par ses adversaires composés de militaires acolytes de Salan et Jouhaud, et des colons extrémistes, et des jeunes appelés « Les Lagaillardistes, tous versés dans le « Front de l'Algérie Française » . Les partisans de l'Algérie algérienne prônée par le président français soutenus par les sections administratives urbaines,œuvraient pour contrecarrer ce front et essayé d'enrôler dans leur rang le peuple algérienne qui avait su comment déclamer ses manœuvres inappropriées pour son combat et son avenir. Dés lors il choisit une troisième voix ; c'est celle de l'Algérie du FLN. Pour se faire des démonstrations dans les rues ont été

Abstract:

The Algerian war was a great event of the 20 century. It had a deep impact on the society. In order to go straight on freedom of Algeria, among several methods which were employed to rich the goal the manifestation against the French colonialism. The events from 09 to 11 December 1960 are the most treated by the French news papers, because of the visit of the French president to Algeria. This event was evidence that the Algerian people hold the revolution. Man, Women and children participated to this event which happened around Algerian cities. This article presents how French press treated globally the peaceful demonstration and the role played essentially by Childs and woman in December 1960 in Algeria.

improvisées à l'aide des marches grandioses dans plusieurs villes du pays pendant et après la visite de De Gaulle. Des affrontements ont eu lieux entres ces diverses parties, mais des tueries aussi. Les musulmans algériens ont en été des victimes.

L'on relève qu'aucun évènement n'a été aussi couvert par la presse française que ce dernier. Une panoplie de la presse écrite et audio-visuelle était parsemée à travers toutes les villes et zones parcourues par « De Gaulle ».

La presse écrite ne s'est jamais attendu à être témoin de ces évènements qui ont marqué une grande mutation dans l'histoire de la révolution algérienne. Elle nous retrace les faits et les tournures tragiques de toute cette effervescence spontanée. La présence de femmes et des enfants algériens n'est pas passé inaperçue pour la presse, le point est toujours mis par les rapporteurs de presse et leurs présences et leurs rôles sont signalées un peu partout avec une grande attention. Cette article s'étalent autour de ces idées et analysent la revue de presse française des évènements de Décembre 1960.

مقدمة:

تعد مظاهرات 11 ديسمبر 1960 م من أهم المحطات الأساسية للثورة التحريرية الجزائرية بحيث تجاوز صداها حدود الجزائر و بلغ العالم من خلال دور ممثلي جبهة التحرير الوطني في مختلف دول العالم وما دونته الصحف المتباينة منها صحف الاستعمار الفرنسي خصوصا.

نظرا لطبيعة المظاهرات وحجم مشاركة الشعب الجزائري وسرعة الانتشار الواسع لها في مناطق متعددة من جهة، و الظروف التي انتابت هذه المظاهرات وانعكاساتها فقد أولت الجرائد الفرنسية آنذاك اهتماما كبيرا بها، وتناولت جوانبا عديدة وصفا وتحليلا.

ولقد كانت مظاهرات 11 ديسمبر أشد تأثيرا على مسار الثورة التحريرية على المستويين الداخلي والخارجي، بحيث سجل هبة شعبية فريدة من نوعها إبان الثورة التحريرية وتمخض عنها تحولا كبيرا في الرأي العالمي إزاء الثورة التحريرية.

ومن الملاحظات التي طبعت تلك الأحداث في عمومها في جل المناطق هو مشاركة المرأة و الطفل بشكل جلب انتباه الملاحظين والمتتبعين للوقائع لا سيما لدى الصحفيين والمراسلين الذين رصدوا سير المظاهرات.

ويقف هذا المقال على إبراز تفاصيل المظاهرات و دور المرأة و الطفل الجزائري من خلال كتابات الصحافة الاستعمارية آنذاك وماهية الرأي الذي صنعته في أوساط مختلف الشرائح والفئات داخل الجزائر و بفرنسا و على المنابر الدولية الأخرى، علما أن ذلك الدور لم يكن وليد الصدفة و اللحظة ذاتها، بل ساهما في الثورة الجزائرية في كل المجالات بحيث لا يمكن لدارس الثورة التحريرية أن يغفل أسماء النساء اللواتي لعبن دورا هاما في الثورة التحريرية.كما أن للأطفال دورا لا يستهان به في مختلف مراحل الثورة الجزائرية يتطلب إماطة اللثام عنه.

و من أجل تناول هذا الموضوع اعتمدنا على مجموعة من الصحف منها "لو باريزيان ليبيري " Le Parisien Libéré و"ليبيراسيون"Libération، و"لورور"L'aurore، و" فرانس أوبسيرفاتور"France Observateur، و"هيومانيتي"Humanité، و"باري جور" Paris jour و"فرانس سوار"France soir،و" لوموند"Le Monde،و" لوفيقارو"Le Figaro، و"لا بريس"La Presse .

و نظرا لغزارة المادة الاعلامية التي غطت زيارة ديغول إلى الجزائر و تعرضت لتلك المظاهرات،فقد اخترنا أن نقف على ما دون أكثر على مدينتي الجزائر ووهران مع العلم أن المظاهرات مست عددا كبيرا من المدن التي كانت محل مرور الرئيس الفرنسي آنذاك.

1- ظروف ودوافع مظاهرات ديسمبر 1960م :

تعد مظاهرات ديسمبر 1960 استمرارا للصراع القائم بين الجزائر و الاحتلال الفرنسي، وهو استكمال لنضال الشعب الجزائري الذي كان يذود من أجل استقلاله وحريته المغتصبة، فتضاف هذه المظاهرات إلى إضراب الطلبة في 19 ماي 1956م و إضراب 1957، واضراب المساجين و غيرها من المواقف الجماعية التي عبر عنها الشعب الجزائري عن تضامنه و التحامه مع الثورة التحريرية مما يعكس وعيه بقضيته و يبين مدى فعالية نشاط جبهة التحرير الوطني في أوساطه من خلال عمل المحافظين السياسين والنشريات والمطويات والجرائد ناهيك عن اجتماعات التحسيس والتوعية.[1]

لقد أفرز خطاب ديغول الذي ألقاه في 04 نوفمبر م1960، ضجة كبيرة في أوساط الفرنسيين خاصة المستوطنين المتطرفين والعسكريين الذين فهموا أن الجنرال ديغول قام بتحويل "النصر العسكري الفرنسي إلى هزيمة سياسية وذلك بتنازله عن "الجزائر الفرنسية" وتعويضها بـ"الجزائر الجزائرية"؛ ومما جاء في هذا الخطاب " إني قد قررت طريقا جديدا لفرنسا...هذا الطريق يوصل ليس إلى جزائر يحكمها الوطن الأم الفرنسي، ولكن إلى الجزائر الجزائرية.وهذا يعني جزائر حرة، جزائر يقرر سكانها مصيرهم بأنفسهم، هذه الجزائر يمكن بناؤها مع فرنسا أو دونها...إذا كان لا بد من قطيعة عدائية، فإننا لن نلح على البقاء إلى جانب أناس يرفضوننا..." و أردف قائلا:

"إن قادة المتمردين الذين استقروا خارج الجزائر منذ ست سنوات يتحدثون دائما منذ زمن بعيد عن أنهم حكومة الجمهورية الجزائرية التي لا توجد الآن، ولكنها ستنشأ يوما ما"

وكرد فعل لذلك الخطاب اعتبر المستوطنون و العسكريون الفرنسيون أن ديغول يكون قد حسم خياره حول مصير الجزائر،وفضل منح الجزائر إلى جبهة التحرير الوطني. وعلى هذا الأساس بانت مواقف هؤلاء فظهر رد فعل "صالان" بقوله " إذا أراد فرنسيو

الجزائر القتال من أجل الجزائر التي هي مسقط رأسهم،فإنني سأذهب هناك، وأقاتل إلى جانبهم".

و أضاف قائلا: " إن مسار تصفية الجزائر الفرنسية قد بدأ في تنفيذه بشكل جوهري، وقد ضاعف الجنرال ديغول من إيقاعه،فإذا نجح خلال شهر جانفي في انتزاع دعم الشعب بواسطة الاستفتاء فسيتم دون شك فقدان الجولة".

ولقد دعى " صالان" في 07 ديسمبر 1960 إلى تمرد الجيش الفرنسي ضد ديغول في 07 ديسمبر 1960 و العمل على إبطال زيارته للجزائر،و كلف النقيب "بيار سيرجون" بالاتصال بـ"الجنرال جوهود" وبعض ضباط الجيش لتنفيذ التمرد.

كما أن أوربيي الجزائر فقد قاموا بمظاهرات عارمة في 11 نوفمبر 1960م منتهزين مناسبة إحياء هدنة 11 نوفمبر 1918م،فاحتجوا على خطاب ديغول السالف الذكر و هتفوا بـ"الجزائر الفرنسية".

أما جبهة الجزائر الفرنسية فقد أعلنت عن تنفيذ إضراب في كامل مدينة الجزائر وهددوا بالحرق والخراب كل من تسول له نفسه بفتح محله ومخالفة الإعلان الخاص بالإضراب. ومما جاء في الاعلان:

"...يجب أن تتوقف الحياة بمدينة الجزائر .إن حركة السيارات المدنية تعتبر ممنوعة، ويمنع كذلك فتح المحلات التجارية وإلا تعرضت للخراب..."

2- اندلاع المظاهرات و المشادات بين الجزائريين المسلمين و لأوربيين:

منذ صبيحة يوم الجمعة 09 ديسمر 1960 تاريخ بداية زيارة ديغول إلى الجزائر بدأ المتطرفون يتحركون في المدن لا سيما في مدينة الجزائر،فما كاد ديغول أن ينزل من الطائرة معية لويس جوكس وزير الشؤون الجزائرية حتى قامت جبهة الجزائر الفرنسية بتنفيذ وعيدها إذ حولت مدينة الجزائر إلى "مدينة ميتة" ووقع اصطدام بين هؤلاء و بين القوات الفرنسية، و قد زاد محتوى خطب ديغول التي ألقاها في كل المدن التي مر بها من تصلب مواقف المطرفين الذين رأوا فيها تحديا لهم في مواقعهم المكتسبة.

ففي عين تيموشنت صرح قائلا: " بين فرنسا الجديدة و الجزائر الجديدة سيتم ابرام عقد جديد،حقا انكم تنحدرون من أصلين جد مختلفين الواحد عن الآخر، ومع ذلك فأنتم جميعا جزائريون وتحبون جميعا الجزائر،عليكم أن تتعاونوا من أجل بنائها معا هذا واجبكم، وهذه مصلحتكم بكل ما تحمله الكلمة من معنى...عليكم إذن بناء جزائر

الأخوة التي يجب أن تصنع بتعاون كل الطوائف حيث يتمتع الجميع بنفس الحقوق والواجبات مرة واحدة وبصورة نهائية"

على الجزائر أن تتطور وتتقدم، وحتى تتطور في عصرنا الحديث فهي تحتاج إلى مساعدات و دعم ومساندة ومساعدة فرنسا، هذا هو منطق الأشياء، إنها البداهة"و في تلمسان صرح قائلا: " أيها الجزائريون عليكم أن تبنوا معا جزائركم "

و ذكر في خطابه بأورليون فيل (الشلف) :" أن الجيش ليس له سياسة، ولا يحق له ممارسة السياسة،فشرفه أولا، وبالأساس هو الخدمة، لن يكون ذلك فشلا عسكريا لفرنسا ، بدون شك سيكون ذلك نجاحا عسكريا لفرنسا في الجزائر".

أما في تيزي وزو فقد قال ديغول:"إنني مقتنع بأنه سيأتي يوم تتصافح فيه الأيدي، فالجزائر الجديدة هي للجزائريين، لمختلف الجماعات التي تتشكل منها،ومن أجل أن يستتبب الأمن في الجزائر سأبذل كل طاقتي" و نفس الحديث تمسك به في بجاية " إننا نقترب من الهدف – الجزائر الجديدة- حيث أن الصيحات التي تطلقونها"

ومنذ أن نزل ديغول بعين تيموشنت يوم 09 ديسمبر لم تتوقف المشادات بين المسلمين الذين قابلوا ديغول بشعار "الجزائر الجزائرية" مع المتطرفين من المعمرين الذين كانوا يهتفون بـ"الجزائر الفرنسية".

و في اليوم الموالي (السبت 10 ديسمبر 1960م)، احكمت جبهة الجزائر الفرنسية قبضتها على بعض المدن وظهر ذلك بشكل بارز بمدينة الجزائر،بحيث كانت استجاب للإضراب نسبة كبيرة من أوروبي الجزائر.وكان غرضهم هو الوصول إلى إشراك الجيش في حركتهم و الدفع بهم إلى تمرد ضد ديغول و إغراق الشوارع بالمتظاهرين تنديدا بسياسته و محتوى خطابه السالف الذكر.

و بعد أن تسارعت وتيرة الأحداث، هرع "كريبان" القائد العام للقوات الفرنسية بالجزائر إلى مصدر الأحداث بمدينة الجزائر وحاول أن يستدرك الوقائع ،فكان وراء تغيير المسار المحدد لزيارة ديغول في نقطة "أورلين فيل – الشلف- بعدما أخبر ديغول باحتمال تعرضه لمحاولة اغتيال، فبدل ديغول مسار موكبه في النقطة السالفة الذكر.

ويعكس لنا ذلك مدى تشبث أوروبيي الجزائر بـ"الجزائر الفرنسية" واستعدادهم لمقابلة سياسة ديغول ورفض أي تنازل مهما كانت طبيعته أو هدفه.

وكان لخروج الأوربيين في الشوارع و تعنيفهم للجزائريين المسلمين للانضمام إلى الإضراب أثرا في نفوس هؤلاء لا سيما و أنهم لم يقبلوا بتبني مواقفهم، بل كانوا على نقيضه و ملتزمين بتعليمات جبهة التحرير الوطني في غالب الأحيان و هو الحال في تلك الظروف التي شهدت محاولة الفرق الادارية الحضرية استغلال الجزائريين المسلمين منذ صبيحة اليوم الموالي يوم 11 ديسمبر 1960م،بتحريضهم للخروج للشوارع للتنديد بالإضراب السائد و كسر تنظيم جبهة الجزائر الفرنسية والموالين لهم،ولكن جبهة التحرير الوطني المتتبعة بدقة تطورات الأحداث استثمرت في هذه الأحداث و أثرت في سيرها بحيث رفع المتظاهرون الجزائريون شعارات لفائدة الثورة.

فقد جاء في الصحافة الصادرة في اليوم الموالي 12 ديسمبر 1960 أنه منذ الساعة الثامنة صباحا من يوم الأحد عجت ساحة "بلكور" بالمتظاهرين،وأغلبهم مجموعات من الشباب الصغار من 100 إلى 200 يحملون معهم قضبانا حديدية، و يرفعون علم جبهة التحرير الوطني و يصيحون "إلى العمود لآقايارد(الاعدام)"، و"عباس في الحكم"و " مفاوضات ديغول مع عباس"[2]

« ...Les manifestants reprennent à Belcourt. Elle sont le fait de groupes de 100 à 200 très jeunes musulmans...ceux-ci arborent des drapeaux verts du FLN et scandent Lagaillarde au poteau ! Abbas au pouvoir !Rencontre Abbas- De Gaulle »

بينما كتبت صحيفة أخرى أن 10.000 مسلم تكدسوا في الطرقات بالقصبة الصغرى ويصيحون "عباس في الحكم" و "الجزائر مسلمة"،و يرفعون أعلاما تحمل كتابات "يحي فرخاث عباس" و" الجزائر الجزائرية"...و يخرج من أعماق هذه الوفود زغاريد النساء... وكانت المواجهات قوية بينهم وبين القوات الفرنسية المختلفة من وحدات التدخل للشرطة(CRS- 258 -)و المظليين بقيادة الرائد "ماصو"(MASSOT)الذين جاؤوا خصيصا للتدخل ضد المتظاهرين[3].

« 10.000 musulmans sont massés dans les rues de la petite Casbah, hurlant Abbas au pouvoir et Algérie musulmane, ils brandissent des banderoles improvisées qui proclament Vive Ferhat Abbas et Algérie Algérienne...Les You-you stridents percent ce fracas... » .

و يتحدث نفس المصدر عن تجلي صراع بين الشرطة و المظليين .وقد نجم ذلك عن الاختلاف في كيفية احتواء المتظاهرين،ذلك أن خروج حشود الشعب بذلك الحجم أثر على نفسية السلطة الاستعمارية التي طمعت في إيجاد ظرف موائم يسر به الرئيس ديغول.وقد نقلت تفس الجريدة أن العقيد قائد قوات الشرطة تقرب من الرائد قائد المظليين و أبلغه أنه عليه أن يكف من صب الزيت على النار و أن ينصت لتعليماته لكونه هو المسؤول عن الأمن في الموقع ذاته.

«Je suis responsable de la sécurité, Je vous donne l'ordre de vous retirer avec vos paras. La situation est assez tendu comme cela » [4]

ومما سبق يتبين لنا كيف هب الشعب الجزائري ضد المشروعين المعروضين عليه؛ مشروع ديغول الذي حمل في طياته هدافا خطيرا يتمثل في إغراق القضية الجزائرية في ما يشبه مشروع "المائدة المستديرة" .

ومما نقله الصحفي رولان فور Rolland Faure عن التحرك الشعبي الواعي للجزائريين الذي شهده بنفسه في أوساط المتظاهرين ببلكور (بلوزداد) خلال اليوم الثاني من المظاهرات أن هؤلاء كانوا دون سلاح و مصممين على تحقيق أهداف الحركة،و أنه لا شيء يستطيع توقيفهم، ويعكس الشعارات المرفوعة على التحام الشعب بجبهة التحرير الوطني. ومن تلك الشعارات نجد " الجزائر مسلمة"، الجزائر مستقلة كاملة"، و"اطلقوا سراح بن بلة" ، و"الاستفتاء تحت مراقبة الأمم المتحدة"،و"لاقايارد للعمود"،و كانت الجموع الحاشدة كثيرة و متماسكة فيما بينها.[5] وأضاف رولان أنه استمع إلى أحد الشباب يشرح له الأوضاع الاجتماعية التي أحاطت بهذه المظاهرات و موقفهم المعادي من الأقدام السوداء.[6]

أمام تنامي الوعي الثوري لذى الجزائريين و توسع نطاق مظاهراتهم في اليوم الثاني في مختلف أحياء المدن، اجتمع عدد لا يستهان به من شباب الأقدام السوداء والذين كانوا يحملون أوسمة مكتوبة عليها "الأمة الفتاة"" Jeune Nation " وآخرون تسموا بـ"لاقياردیست" أي أتباع الجنرال لاقايارد، و قرروا وضع حد لمظاهرات الجزائريين محتجين على الجيش الفرنسي الذي اتخذ مواقفا متسيبة إزاء المظاهرات- حسب زعمهم -، وأعربوا عن امتعاضهم من جرأة الشباب الجزائري الذين تحدوهم في أحيائهم برفع شعارات مؤيدة لجبهة التحرير الوطني،فبدأت المناوشات بين الطرفين.[7]

"C'est une honte quand on pense qu'ils sont venus hier soir(10.12.60) jusqu'ici avec les drapeaux des fellouses !et l'armée qui n'a rien fait...heuresement qu'il y'a des Français qui ont tiré des fenêtres...Les ratons se sont sauvés comme des lapins .Ils ont eu six morts.. »

وأسفرت المواجهات عن استشهاد عدد من الجزائريين بعضهم قتل بالسلاح الأبيض،والبعض الآخر بالسلاح الناري و من طرف هؤلاء.[8] هذا في ضواحي بلكور، أما بديار السعادة وديار المحصول فقد كانت المواجهات أعنف و لجأ المعمرون في كلو صالامبي (المرادية) إلى تنظيم الدفاع الذاتي،[9] واطلاق الرصاص على الحشود المجتمعة في تلك الأحياء وأمام أعين المضليين الذين لم يحركوا ساكنا لإيقاف الجريمة.[10]

"...Ce sont des Européens qui font usage de leurs armes individuelle, sans que les parachutistes ou les forces de police fassent le moindre geste pour les en empêcher »

و تجدر الإشارة ألى أن ما كان يسمى بالدفاع الذاتي إنما هو تجمع المعمرين بصفة غير قانونية لغرض قتل الجزائريين بكل الوسائل مساندة للمعارضين للرئيس ديغول، وقد بينت ذلك بعض الصحف الفرنسية لتي تحدثت عن إطلاق النار على المتظاهرين من قبل بعض الأوربيين و البعض الآخر يصوب قنابلا يدوية من شرفات المنازل في اتجاه هؤلاء المسلمين الذين لم يحملوا معهم سوى أعلاما دونت عليها شعارات منها " يحي فرحاث عباس"، و "تحي الجزائر" و تحي جبهة التحرير الوطني" وكانت إحدى الشعارات تتضمن عبارات أكثر إثارة " تحي الجزائر المستقلة"، و " يحي جيش التحرير الوطني"[11]و هو الشيء الذي جعل صدور المعمرين تضيق منهم فلم يتوانوا من استهدافهم بالرصاص، كما تدخلت فرقة المظليين وفرق التدخل الخاصة على متن 40 شاحنة عسكرية[12] من أجل إيقاف تدفق المسلمين الذين ما فتئ يزداد عددهم من حي لآخر. [13] ولقد سجلت منطقة باب الوادي أعنف مشاداة بين الجزائريين المسلمين و الأوربيين(الأقدام السوداء)،واعترف المراسل "كلود إيستيي""Claude Estier" بأن الأوربيين قد تجاوزوا كل الحدود و بالغوا في قمع الجزائريين، وقد تعاونت قوات الشرطة والجيش و الأقدام السوداء على قمع الجزائريين المسلمين [14] ،كما عرف حي "رويسو" عملية قتل جماعي وعشوائي سميت بـ"تنظيف الحي" من قبل المظليين الذين استخدموا

الرشاشات الأوتوماتيكية فحصدوا عدد من أرواح الجزائريين في لحظات وجيزة جدا.[15] وقد سبق للجنرال قومبو « Gombault قائد منطقة شمال الجزائر المكبف بمصلحة حفظ النظام العام أن صرح بأن عناصرا من جبهة التحرير الوطني استغلت المتظاهرين بتعبأتهم قصد خلق جو من الهيجان الشعبي وإثارته ضد سلطة الاحتلال،لذا فإن مصلحة حفظ النظام قد تستدعي لاعطاء أوامر استخدام السلاح.[16]

ويبدو ذلك في شكل عقاب جماعي للمظاهرة، وهي النظرية ذاتها التي ألفت فرنسا المحتلة على تطبيقها في مختلف الفترات الزمنية عموما و في الثامن من ماي 1945م خصوصا.

وفي هذا الصدد أشار مراسل صحفي إلى وجود عدد كبير من الجرحى من الرجال والنساء بمستشفى "مايو" تم نقلهم من مواقع الاشتباك من طرف الجزائريين.[17]كما أورد بعض المراسلين تعرض بعض سيارات الجزائريين للحرق من قبل "شباب الأمة"و "اللاقاياردين"

و يلاحظ من خلال الصحف أن المتظاهرين كانوا يأتون من كل الاتجاهات و يلتقون في عدة نقاط أساسية كالبريد المركزي، وبلكور"بلوزداد" وكلو صالامبي " المرادية"و ديار المحصول،وديار السعادة، والقبة[18]ولي طروا أورلوج "باب الوادي"[19]...

3- مسؤولية المتظاهرين من خلال الصحف:

لقد كانت مناسبة زيارة ديغول للجزائر فرصة مكنت عددا كبيرا من الصحف للحضور قصد تغطية تفاصيل الزيارة، وكتب المراسلون عن تعرض "ممتلكات الأوربيين" من محلات و سيارات إلى التخريب والتكسير و الحرق من قبل جموع المسلمين التي زحفت على أحياء هؤلاء.[20]و من بين ما دونوا نجد:

« La manifestation se déplace vers les hauteurs de Diar El Mahçoul, Les manifestants s'attaquent aux parcs de voitures, brisant certaines d'entre ells, et s'emparant d'autres... »[21]

« Sur la route du ravin de la femme sauvage, un inspecteur de police des renseignements généraux est égorgé.Sa voiture est incendiée »[22]

« Les manifestants renversent les voitures appartenant aux européens ... » [23]

وعليه حملوا الجزائريين مسؤولية ما نجم عن ذلك من ردود فعل الجيش و الأوروبيين بشتى انتماءاتهم. و على هذا الأساس يُفهم الجرائم التي ارتكبوها دفاعا شرعيا عن أنفسهم و ممتلكاتهم.

علاوة على ذلك فقد أشارت عدة صحف بأصابع الاتهام إلى جبهة التحرير الوطني التي استغلت المظاهرات لأغراض سياسية فكان وجودها بارزا من خلال الشعارات المكتوبة و الشعارات المنطوقة والتي كانت تثبت الحس الجماعي بالقضية الجزائرية ودليلا على احتضان الشعب لها، فبرر هؤلاء المراسلون مواقف المجرمين و جعلوا من الضحية مجرما وكذلك حاولوا أن يصنعوا الرأي العام الفرنسي والدولي.

4- تجلي المرأة والطفل في المظاهرات :

لم يكن دور المرأة في الثورة الجزائرية على وجه الخصوص وليد الصدفة، و لم تتأخر هذه الأخيرة في الاستجابة لنداء الثورة منذ اندلاعها،فكان دورها ملفتا للانتباه في الأرياف والمدن، في الوطن و المهجر، فتحدثت الصحف عن جميلة بوحيرد وحسيبة بن بوعلي و مليكة قايد و بوفاريك تومية و أختها لطيفة،وغيرهن كثر. فكانت مظاهرات ديسمبر 1960 موعدا إضافيا بين مكانة المرأة في ساحة النضال السياسي من أجل الاستقلال. وتجدر الإشارة إلى الثورة الجزائرية أولت اهتماما كبيرا للعنصر النسوي[24] و بذلت جهودا جبارة لتكوينها و الزج بها في الثورة إلى جانب الرجل. وإلى جانب المرأة ذكرت المصادر الأرشيفية و الصحفية مشاركة الطفل في الثورة بأدائه لبعض الأدوار.فمنهم من كان في الاستعلامات كعمر ياسيف،ومنهم من كان له دور آخر في التموين والاتصالات وغيرها من المجالات،[25] وغالبا ما كان الطفل في عداد الضحايا من القتلى والجرحى.

أما خلال مظاهرات ديسمبر 1960 فقد برز دور المرأة الجزائرية بشكل غير مسبوق إذ عبرت عن وعيها السياسي وقدرتها في تعبئة الشعب وتنظيمه و المشاركة إلى جانب الرجل في تحدي سلطات الاحتلال. ونعتتها الصحافة الاستعمارية بكونها هي العنصر المؤثر طيلة فترة المظاهرات.[26] ولعل أوضح مثال في هذا الشأن هو زهور ونيسي التي ساهمت في تنظيم المظاهرات في كلو صالومبي (المرادية وديار السعادة)و عراد لطيفة تلميذتها التي لعبت دورا في الاتصال و جلب الأعلام إلى مدرسة معلمتها ونيسي و صديقة قادري التي أرسلتها الثورة لتنظيم المظاهرات في برج بوعريريج ففعلت[27].

وشهدت الصحف الفرنسية برمتها على المشاركة القوية للمرأة في المظاهرات لا سيما في مدينة الجزائر بشكل خاص.و إلى جانبها أشار المراسلون إلى وجود الأطفال الذين تحمسوا لرفع الأعلام أو السير مع المتظاهرين ومنهم من سقط برصاص الغدر.

فالمظاهرات الصاخبة التي اندلعت منذ يوم 10 ديسمبر بنزول آلاف من الشباب المسلم صالامبي غصت بعدد كبير من النساء اللواتي كن يهتفن بشعار "الجزائر الجزائرية" مصحوبة بزغاريد متواصلة.[28]

« Plusieurs milliers de musulmans, Drapeau F.L.N en tête, des femmes poussant des YOU-YOU et criant Algérie Algérienne ... »

وعشية نفس اليوم على الساعة 21سا 30 واصل الشباب الجزائري سيرهم في اتجاه الديار المحصول وكانوا في شكل موجة كبيرة ،و كان وراءهم عدد كبير من النساء[29]

"Derrières les manifestants se trouvent des femmes qui poussent des You-you

وتضيف صحيفة أخرى في نفس السياق لتؤكد حضور العنصر النسوي القوي مشيرة إلى أن حوالي 10.000 شاب مسلم زحفوا من القصبة،وفي أوساطهم تخرج زغاريد النساء التي كانت تعلو فوق الأصوات لتؤكد حضورهن واحتضانهن للحدث،وأن قضية المصير يهم كل شرائح المجتمع.[30]

« 10.000 musulmans sont massés dans les rues de la Petite Casbah les You-you stridents des femmes percent à travers ce fracas... »

وقد صرح بعض المراسلين الصحفيين أن المرأة كانت بمثابة المحرك الأساسي للمظاهرات الشعبية واستماتت أمام سلطات الاحتلال في شوارع المدينة و ضربت بذلك مثالا على الصمود و الشجاعة والوعي ألهب حماس الآلاف من الشباب المسلم.

وليس أدق على ذلك من تعبير المراسلين الرسميين الذين غطوا زيارة ديغول حينما أشاروا إلى أن المرأة أصبحت بمثابة المحرك الشعبي الأساسي للمظاهرات بزغاريدها [31]ورفعها للشعارات بأصوات مرتفعة إلى جانب الرجال وبقناعات لا غبار عليها على غرار صيحاتهن " لا لفرنسا" .[32]

« Les femmes, note le correspondant de l'A.F.P, crient : « you-you » et « jouent un rôle moteur capital».

ومن المفيد أن نشير إلى دور آخر لعبته النساء الجزائريات في لحظات جد حساسة من المظاهرات و يتمثل في تحول عدد منهن إلى ممرضات و مسعفات في ظرف فرض واقعه عليهن.ولم يكن ذلك حكرا على الرجال فقط، بل نشط هذا العنصر بتقديم الإسعافات الأولية لهم، ونقل الجرحى إلى أماكن آمنة و إلى المستشفى.[33]

« ...Des jeunes filles musulmanes improvisées en infirmières »

وقد نشر صحفيون أمريكيون مراسلون عن جمعية المراسلين الأمريكية (Associated Press) أنهم لم يشاهدوا قط تلك الصورة التي رسمتها النساء اللواتي كانوا على شرفات منازل القصبة بلباس أسود يزغردن في اتجاه الشوارع التي اختنقت بالمتظاهرين الذين كانت أصواتهم تدوي جدران الحي و كانت تؤثر نفسيا على الأوربيين و رجال الأمن الذين وقفوا في الحواجز للصد لهذا السيل البشري.[34]

« Nous y avons été témoins d'une effervescence indescriptible, les balcons, les terrasses étaient noirs de femmes qui poussaient leurs traditionnels you-you stridents... »

وقد انفردت إحدى الصحف بالتطرق إلى التصرف الحكيم و المتميز للمرأة الجزائرية بمدينة وهران أثناء مظاهرات يوم 11 ديسمبر حين كانت تنشر روائح العطور المختلفة في مسار المتظاهرين ردا على قيام رجال المطافئ بالتصدي للمتظاهرين بالماء.[35]

« L'agitation croissant appel est fait aux pompiers qui arrosent les musulmans. Les manifestants ripostent en jetant des pierres. Une odeur de parfum lancée par les femmes se répand dans les ruelles ».

« ...Très rapidement, les manifestants musulmans remontèrent vers la Casbah bouclée par le service d'ordre mais à l'intérieur de des centaines de jeunes gens, brandissant toujours des drapeaux F.L.N .continuèrent à parcourir les rues étroites sous les acclamations des femmes musulmanes massées aux fenêtres »

Libération du 12..Op-Cit.

« Les you-you des femmes font un étrange fond sonore... »France-Soir du 13.12.17

وقد ازداد عدد الأطفال الذين خرجوا ليشاركوا في المظاهرات في يوم 11 ديسمبر في كل جهات مدن الجزائر حيث في الجزائر كان حوالي 200 منهم يرفعون شعارات جبهة التحرير الوطني ويطالبون بإعدام لاقايارد، وضرورة تفاوض ديغول مع عباس، و تسليم الحكم لعباس.[36]

وقبل ذلك في وهران شارك الأطفال في المسيرات منذ يوم 10 ديسمبر 1960م بنفس الشعارات (تحي جبهة التحرير الوطني، جبهة التحرير الوطني ستنتصر) فكانت أصواتهم الرقيقة تميز بسهولة من بين أصوات الشباب و الرجال والنساء .[37]

« ...Un instant plus tard un gosse apparait furtivement, reprend cet emblème de fortune et disparaît.. »

"Dimanche matin, les manifestants reprennent à Belcourt.Elle sont le fait de groups de 100 à 200 très jeunes musulmans armés de gourdins et de barres de fer. Ceux-ci arborent des drapeaux verts du F.L.N et scandent « Lagaillarde au poteau ! » « Abbas au pouvoir » « Rencontre Abbas- De Gaulle ».

و بمدينة الجزائر هم الأطفال وشباب قصر بخلق جو من الهلع والقلق في أوساط الأوربيين برشقهم بالأحجار على مستوى شارع "ميشلي" (ديدوش ملراد حاليا) و هو ما يعكس الشعور الجماعي الذي انتاب الجزائريين آنذاك.[38]

" Les petits voyous de la rue Michelet sont venus lancer des pierres aux habitants de cette cite".

ويضيف أحد المراسلين مسترسلا في شهادته على تصرفات هؤلاء الأطفال قئلا أنه كان ضحية رشق بالحجارة من قبل طفل صغير لم يتجاوز سنه 10 سنوات،و لاشك أن الطفل الذي قام بذلك الفعل لم يكن يعلم بأن المعني كان صحفيا بل اجمله في زمرة المعمرين.[39]

«...L'un deux m'aperçoit et me jette une pierre. Il a tout juste une dizaine d'année »

وقد اضطلع الأطفال بالقصبة بمدينة الجزائر بدور آخر حساس يتطلب الشجاعة و السرعة في التنفيذ ، ويتعلق الأمر بمهام ربط اتصال الأوربيين ببعض الأفراد الذين برزوا أثناء المسيرة كمنظمين لها. ومن أجل وصول الصحفيين إليهم لمحاورتهم ،قام بعض الأطفال بقيادة هؤلاء إلى "مقهى زروق" بالقصبة الذي كان بمثابة مركز قيادة للمظاهرات.و يتجلى من ذلك أن المتظاهرين تفاعلوا بكيفية إيجابية مع الصحافة الفرنسية والدولية[40]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن صورة المكانة التي اكتسبها الطفل الجزائري في تلك المظاهرات تعد امتدادا لدوره في الثورة في المدن و الأرياف، وتجعل الطفل الجزائري يختلف عن الطفل كثير من دول العالم.

« ... Les –Yaouleds – conduisent les journalistes au P.C des manifestants, qui se trouvent au café Zerroug, un des principaux cafés maures de la Casbah... »

تلكم بعض النماذج التي تعكس شهادة الصحافة الفرنسية عن كل من المرأة والطفل الجزائري أثناء مظاهرات ديسمبر 1960 على مستوى مدن الجزائر، وقد نالا نصيبهما من ردود الأفعال من قبل سلطة الاحتلال و أعوانها و معمريها رغم سلمية المظاهرات إذ دفعا ثمنا باهظا كتكلفة لتفاعلهما الايجابي مع مستجدات واقع مجتمعها فالبعض لفظ أنفاسه في ميدان المظاهرات، والبعض الآخر جرح ونقل إلى المستشفى من قبل الشعب، وهناك من لم يحظ بذلك بسب الظروف الصعبة التي انتابت الجزائريين ككل،زد على ذلك تعرض عدد من النساء الحاملات لسقوط أجنتها و فقدان بعض الأطفال الصغار دون أن يعلم مصيرهم.

« Soudain alors que la pression se faisait plus forte à la hauteur de la place du gouvernement, des coups de feu éclatèrent. Plusieurs personnes tombèrent à terre. Homme, femmes, enfants se mirent à courir dans tous les sens, tandis qu'en quelques minutes des ambulances arrivaient sur les lieux ...».

و شهادات الصحافة المنتشرة في ميادين المظاهرات تشهد بأن إطلاق الرصاص الحي من قبل المظليين كان بكل مكثف في عدة نقاط من وهران و في الجزائر.[41]

« La masse des manifestants musulmans ne cessent de grossir. On emmène plusieurs jeunes et des femmes blessés... ».

الخاتمة:

مما تقدم من معطيات يظهر لنا أن زيارة ديغول إلى الجزائر كانت مناسبة للصحافة الاستعمارية للحضور إلى الجزائر، فتابعت ما حصل من أحداث في مختلف المدن و المناطق تبعا لخط سير الزيارة و بطريقة دقيقة،فانقسمت الصحافة إلى موضوعية صدحت حقا بما وقع في الميدان، و إلى منحازة ساكتة عن الجرائم محملة للجزائريين و لجبهة التحرير الوطني مسؤولية الأحداث.

ومهما يكن من الأمر، فإن تغطية مظاهرات ديسمبر 1960 كانت تقريبا شاملة، بل تعرض أحيانا بعض المراسلين إلى تفاصيل جد دقيقة و ملاحظات حساسة حول الجرائم المرتكبة من قبل الأوربيين و "قوات الأمن" المختلفة.وبذلك أبرزت الانعكاسات التي أفرزتها المظاهرات و أماطت اللثام عن التجاوزات المرتكبة في حق الجزائريين الذين كان ذنبهم الوحيد هو المطالبة بحقهم المتمثل في "الجزائر الجزائرية" و "الجزائر المسلمة"،ذلك أن الصحف تعرضت إلى الأطراف التي كانت توظف الأسلحة بأنواعها المختلفة، في الوقت الذي كان الطرف الجزائري من دون سلاح.فقد قامت تلك الصحافة بفضح السلطة الاستعمارية إما عن قصد أو عن غير قصد.

إضافة إلى ذلك، فقد تطرقت الصحافة إلى وجود العديد من الأطراف التي وحدت موقفها ضد الجزائريين المسلمين ومنهم سلطة الاحتلال والمعمرين الأوربيين و غيرهم وبينت كيف توحد الشعب الجزائري رجالا ونساء، صغارا و كبارا، و كيف التحم بالثورة و قياداتها من خلال الشعارات المرفوعة و المنطوقة وتطور الحس الجماعي للشعب إزاء الثورة التحريرية.

إن تطرق الصحافة إلى تغلغل عناصر جبهة التحرير الوطني في تسيير و توجيه الأحداث هو في حد ذاته اعتراف باستعادة هذه الأخيرة لتنظيم المدن وفشل مشروع ديغول و مشروع جبهة الجزائر الفرنسية، واستفاضت الصحافة في تفاصيل المظاهرات المليئة بالإحصاءات المتباينة حتى أنه لم يبق أي لبس في القضية.

لقد كشفت الصحافة للعيان الدور الذي انفردت به المرأة الجزائرية في تلك المظاهرات و مكانة الطفل فيها، وهو أمر غير معروف على مستوى الاعلام الفرنسي أو الدولي، فقدمت بذلك نظرة كاملة للرأي العام الفرنسي و الدولي عن كنه حقيقة القضية الجزائرية ومدى علاقتها بالمجتمع.و علقت تلك الصحافة على أن المرأة كانت بمثابة المحرك الأساسي للمظاهرات.

سكتت الصحافة الأوروبية عن موقف ديغول أمام تحدي جبهة الجزائر الفرنسية له، و عن موقفه من الفوري والمباشر من المظاهرات بالجزائر قبل أن يعود إلى فرنسا. ولم تحاول الصحافة الوقوف على تأثير المظاهرات على صيرورة الثورة الجزائرية وتقدمها في المنابر الدولية في نفس الفترة، و كيف وظفتها الحكومة المؤقتة الجزائرية.

البيبليوغرافيا:

ا- المصادر (الصحف الفرنسية) :

- France Observateur du 15 Décembre 1960.
- France-Soir du 12 Décembre 1960.
- France-Soir du 13 Décembre 1960.
- L'Aurore du 12 Décembre 1960.
- L'Express du 15 Décembre 1960.
- L'Humanité du 12 Décembre 1960.
- L'Humanité du 15 Décembre 1960.
- Le Figaro du 12 Décembre 1960.
- Le Monde du 14 Décembre 1960.
- Le Monde du 16 Décembre 1960.
- Le Parisien-libéré du du 12 Décembre 1960.
- Libération du 12 Décembre 1960.
- Paris-Jour du 12 Décembre 1960.

II- المراجع بالعربية:

- بورغدة رمضان،الثورة الجزائرية والجنرال ديغول،(1958-1962)، سنوات الحسم والخلاص، منشورات بونة للبحوث والدراسات، د.ط،1433هـ/2012م.

الهوامش

[1]- تناول أرشيف الثورة التحريرية هذا النوع من العمل بتفاصيله في القارير الأدبية التي كانت تقدم كل شهر على مستوى كل منطقة و ناحية و قسم (نموذج الولاية الثالثة التاريخية).

[2] - J.Tilly- J.Paillardin, Une forêt de Drapeaux vert et Blanc, in Le Parisien Libéré du 12 Dévembre 1960.

[3] - Le Figaro, 12 Décembre 1960.

[4] - Ibid.

[5] - L'Aurore du 12.Décembre 1960.

[6] - Ibid.

[7] - France observateur du 15 Décembre 1960.

[8] - France observateur,Op-Cit.

[9] - Le parisien libéré, Op-Cit.

[10] -Libération du 12 Décembre 1960.

[11] - Paris- jour du 12 Décembre 1960.

[12] France Soir du 13 Décembre 1960

[13]- Idem.

[14] - Libération, Op-Cit.

[15] - France observateur, Op-Cit..أنظر أيضا
L'Humanité du 12 Décembre 1960.

[16] - Le Parisien libéré du 12 Décembre 1960.

[17] -Le parisien Op-Cit.

[18] - L'humanité,Op-Cit..

[19] - France soir du 12 Décembre 1960.

[20] - L'Humanité, Op-Cit.

[21] - Libération,Op-Cit.

[22] - L'Aurore , Op-Cit.

[23] - L'Humanité, Op-Cit.

[23]- تركز التقارير الأدبية الشهرية في جميع المستويات (القسم و الناحية و المنطقة) على ضرورة تقديم مدى تطور مكانة المرأة في المجتمع و مدى مشاركتها في الثورة.نماذج في حوزتنا.

[25] - قمنا بتسجيل العديد من الشهادات في هذا الصدد. وأرشيف الثورة ملئ بنماذج متعددة.وثائق في حوزتنا.

[26] - Le Monde du 16 Décembre

[27] - في حوزتنا تسجيلات صوتية حول دور المجاهدتين عراد و قادري في مظاهرات ديسمبر 1960.

[28]- Libération, Op-Cit.

[29] - Ibid.

[30] - Le Figaro, Op-Cit.

[31] -L'Humanité Op-Cit.,

[32] -L'express du 15 Décembre 1960.

[33] - France-Soir du 13Déc.Op-Cit.

[34] - L'Humanité du 15 Décembre 1960.

[35] - Le Monde du 14 Décembre 1960.

[36] - Le Parisien Libéré,Op-Cit.

[37] -Ibid.

[38] - L'Aurore Op-Cit.

[39] -France-Soir du 13.Déc.Op-Cit.

[40]- Ib-Ibid.

[41] - Libération du 12 Op-Cit.